مجلة العلوم السياسيّة

اسم المقال: تحديات العولمة للهوية العربية ودور الجامعات العربية في مواجهتها
اسم الكاتب: د. سهيل حسين الفتلاوي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/40
تاريخ الاسترداد: 2025/05/04 02:44 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة العلوم السياسيّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

بحوث ودراسات

تحديات العولمة للهوية
ودور الجامعات العربية في مواجهتها

الاستاذ الدكتور
سهيل حسين الفتلاوي(*)

المقدمة

تواجه الأمة العربية العديد من التحديات المصيرية، بعضها قديمة كالشعوبية، وبعضها حديثة كالاستعمار والصهيونية والتجزئة والتخلف، وبعضها راهنة كالعولمة والامركة. ورغم الاختلاف بين مصادر هذه التحديات إلا إنها جميعا تصب في مجرى واحد هو القضاء على الهوية القومية العربية ومحاولة فك الروابط بين العروبة والإسلام وضرب كل منهما بالأخر.

وإذا كانت التحديات القديمة والحديثة تعمل بشكل مستتر وتختفي وراء عناوين ومسميات مختلفة إلا ان التحديات الراهنة تعمل بشكل واضح وصريح للقضاء على الهوية العربية. ومن ابرز واحدث تلك التحديات تظهر العولمة التي تمس بشكل صريح ومباشر الحس القومي العربي لما تحمله من أهداف واسعة في المجالات المختلفة. خاصة بعد ان ارتدت العولمة شكل التنظيم الدولي الرسمي في منظمة دولية أطلق عليه منظمة التجارة العالمية التي أنشأت بموجب اتفاقية مراكش عام ١٩٩٤ وانضمت إليها وللاتفاقيات الملحقة بها غالبية الدول العربية وأصبحت ملزمة بتطبيقها.

وقد أضافت العولمة تحديا جديدا وصعبا في نطاق التحديات التي تواجه الهوية العربية وأصبحت حالة مفروضة ورسمية لا مجال للتغاضي عنها أو الهروب منها. ومن هنا يظهر دور الجامعات العربية في مواجهة هذا التحدي وكيفية التعامل معه بشكل يحافظ على الهوية العربية أو على الأقل التقليل من أخطارها وتحصين شبابنا من شرها. وانطلاقا من ذلك فقد وجدنا من الضرورة ان نحدد مدى تأثير العولمة على الهوية العربية. وهذا يتطلب منا قبل ذلك بيان مفهوم العولمة ومن ثم بيان مستلزمات مواجهتها وهذا ما تتضمنه المباحث الآتية:

(*)كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد

المبحث الأول

تحدي العولمة للهوية العربية

من أهم التحديات الراهنة التي تواجه الهوية العربية هي العولمة. والبحث في تحدي العولمة يتطلب بيان مفهوم العولمة ومدى تحديها للهوية القومية بصورة عامة وللهوية العربية بصورة خاصة:

أولا - مفهوم العولمة

تعد العولمة(Globalization) من أبرز التحولات التي يشهدها العالم في الوقت. تلك التحولات الهائلة تجعل، في الوقت نفسه، الرأي العام الدولي والحكومات يدركان أن بعض القضايا الكبرى التي تؤثر في مستقبل الإنسانية هي أساسا قضايا تتخطى حدود الدول. فقد أصبح من الواضح اليوم أن مسائل مثل حماية البيئة، أو التحكم في النمو السكاني، أو مكافحة الجوع في العالم، باتت تطرح على صعيد كوكبنا بأسره ولم يعد في الإمكان تناولها إلا جزئيا على مستوى الدولة القومية. وفي هذه الظروف، فأن العيش ضمن حدود الواقع المحلي في هذا الكوكب الذي صبغته العولمة قد يصبح، ما لم نتوخ الحذر، علامة على التدهور، والحرمان والاستبعاد[١].

يرى البعض إن ظهور مفهوم العولمة (Globalization) في بداءة الأمر في الموضوعات المتعلقة بالمال والتجارة والاقتصاد. إلا أنه تطور فشمل التسويق والمبادلات والاتصال والسياسة والفكر والايديولوجيا[٢]، والتأثير على الهوية القومية بشكل خاص.

بينما يرى آخرون إن العولمة ترجمة للكلمة الفرنسية (Mondialisation) التي تعني جعل أي شيء ينظر إليه في مجال كوني نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي يبتعد عن كل مراقبة[٤] ويقصد بالمحدود الدولة التي ترتبط بإقليم معين و بمراقبة صارمة على مستوى الكمارك ونقل البضائع والسلع فضلا عن بروز مصطلح الأمن القومي الذي يقوم على حماية الدولة والخارج في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية . أما اللامحدود فيشار إليه بكلمة العالم أو الكون بهذا المعنى تكون العولمة الإشارة إلى معنى إلغاء سيادة الدولة القومية وخطي هذه الحدود إلى العالم كله[٣].

ويرى البعض إن العولمة ترتبط بالقرية ويصبح معنى المصطلح الإنكليزي (Global Village) أي ان العالم عبارة عن قرية كونية واحدة. بينما يرى البعض أن ترجمة (Globalization) إلى عولمة أو كونية ما هي إلا من خلق بعض المفكرين العرب، أرادوا من خلاله إيجاد مكان لهم في المركز فكأنهم هامش يبحث عن مكان له في المركز. واصبح كل من يدافع عن الخصوصية والأصالة والهوية الثقافة والاستقلال الحضاري رجعيا، أصوليا

متخلفا مع إن العولمة تأتي من اقتصاد السوق وشراء أسهم الشركات الأجنبية[٤].

ويرى آخرون إن استخدام لفظة العولمة اكثر من الكوكبة أو الكونية ويعود إلى كثرة تداولها وشيوع استخدمها عند مختلف الشرائح الاجتماعية ثم إن لفظة العولمة ارتبطت بمجالات حياتية وأخرى كالسياسة وسميت بالعولمة السياسية أي النفوذ السياسي العالمي وارتبطت أيضا بالاقتصاد والإعلام والثقافة وسميت بالعولمة الاقتصادية والعولمة الاتصالية والتولمة الثقافية وأسست مؤسسات متنوعة ومختلفة في كل شكل من هذه الأشكال. لذا فهي على ما يبدو موضع اختلاف بين الباحثين رفضا أو قبولا وانبنى على هذا الاختلاف اختلافا آخر يكمن في تعريفها[٥].

ويعرفها الاقتصاديون بتعريفات تختلط مع تعريف منظمة التجارة العالمية أو بتعريفات تتناول أهداف المنظمة ولهذا فإنهم يعرفونها بأنها:" صناعة السوق التي تضمن عالمية التصدير والاستيراد"[٦] ".

ورأي آخر يعتقد إن منظمة التجارة العالمية تعد ترجمة واقعية للآثار المترتبة على حقائق العولمة والثورة المعلوماتية وإذا أردنا النظر في تأثيرات منظمة التجارة العالمية على التطورات الثقافية في الوطن العربي، فلعل من المناسب أن نبدأ بتوصيف مختصر لمنظمة التجارة العالمية حسب ما أوردته المنظمة عن نفسها إذ قالت:«إن منظمة التجارة العالمية هي المنظمة الدولية الوحيدة التي تعنى بالقواعد الكونية للتجارة بين الأمم، وهي تهدف في المقام الأول إلى السعي لضمان تدفق التجارة بأقصى قدر ممكن من اليسر والوضوح والحرية»[٧]

ويوسع البعض من العولمة فيجدها: بأنها عملية معقدة لا تمس مجال إنتاج و تبادل المواد و الخدمات فحسب، بل أنها تشمل المجال الثقافي وعمليات اتخاذ القرار في كافة الميادين و بخاصة المجال البيئي. و في هذا الإطار يمكن اعتبار عولمة الاقتصاد ذات التفاعل المتبادل والمترابط مع عولمة المشاكل، البيئية والتنموية على حد سواء[٨].

وعلى الرغم من كثرة التعريفات التي وضعت للعولمة فأنها في الواقع تتضمن تغييرا جديدا في نمط الحياة الدولية تشمل كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما يترتب على ذلك من تغيير الهوية الشخصية والهوية القومية في اتجاه يخدم أغراضا معينة. وعلى الرغم من اختلاف الاتجاهات التي تحدد مفهوم العولمة إلا أنها لا تخرج من كونها تحمل هدفا معلنا وهو حرية التجارة العالمية وينضوي تحت هذا الهدف الأهداف الحقيقية للعولمة وهي الأهداف المؤثرة على القومية والدين والثقافات

الخاصة التي تتمتع بها بعض الشعوب في العالم.

وتعد منظمة التجارة العالمية الجهة الرسمية المكلفة بقيادة العولمة وتطبيقها. وقد مرت هذه المنظمة بعدة مراحل. حيث عقد مؤتمر دولي في جنيف عام ١٩٤٧ واقتبس المؤتمر الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة المؤرخة في ٣٠ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٤٧ المرفقة بوثيقة اختتام الدورة الثانية للجنة التحضيرية لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والعمالة التابعة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة. فأجرى عليها مؤتمر جنيف التعديلات وأطلق عليها اسم " اتفاقية الجات " لتمييزها عن اتفاقية الأمم المتحدة[٩]. بحيث أصبحت الاتفاقية تنسجم والتوجهات الغربية الرأسمالية. وبذلك استطاعت الدول الغربية عزل الدول الاشتراكية عن النظام الاقتصادي الدولي. وتم عقد هذه الاتفاقية خارج حدود الأمم المتحدة، رغم إن أصول الاتفاقية مقتبسة من وثائق الأمم المتحدة.

ثانيا – أثار العولمة على الهوية القومية بصورة عامة

تعد العولمة تحديا للهوية لجميع القوميات بصورة عامة. فعلى الرغم من إن العولمة تختص بالقضايا التجارية والاقتصادية الدولية ولا علاقة لها بالموضوعات الثقافية إلا أن المسائل الثقافية تعد من الأهداف الأساسية للعولمة التي تستخدمها عبر منظمة التجارة العالمية بحجة تجارة المواد المرئية والصوتية وغيرها مما يتعلق بعرض الموضوعات الثقافية التي تحمل الثقافة الأمريكية بما لها من تأثير على الشباب المراهقين.

وفي مجال موقف منظمة التجارة العالمية الرسمي من الهوية القومية فقد واجهت مشاكل عديدة في هذا المجال بسبب الخلاف الحاد بين الولايات المتحدة وفرنسا التي تولي اهتماما كبيرا لتراثها وهويتها الثقافية. ويتحدد هذا الخلاف حول نطاق وأسلوب تحرير هذا لقطاع الذي يدخل ضمن خدمات الترفيه. ويقوم الخوف الفرنسي إلى ما يعنيه تحريو هذا القطاع كلية من فتح المجال أمام غزو ثقافي أمريكي عن طريق الأفلام والتسجيلات للسوق الفرنسي نظرا لضخامة الإنتاج الأمريكي في هذين المجالين والقبول الذي يلقيه لدى المواطن الفرنسي وعلى هذا الأسلس تم الاتفاق على تشكيل مجموعة تفاوض تسمر أعمالها حتى نهاية حزيران ١٩٩٦.

ورافق ذلك ربط وسائل الإعلام مع الوسائل الالكترونية الحديثة وخلق نظام اتصال مبني على ترابط هذه الوسائل أدى إلى إطلاق ثورة إعلامية أظهرت إمكانيات هائلة لتطوير الحياة الإنسانية ومن ثم السيطرة عليها، وهذه الكميات لهائلة

من الطاقة العقلية التي تولدها تقنيات الإعلام تملك أو تدار غالبيتها العظمى مؤسسات إعلامية تعمل عبر الدول، والشركات الخاصة والمتعددة الجنسية. ومما لا شك فيه إن نجاح الدول الغربية في توظيف هذه الوسائل في مجال نشر الثقافة الغربية يمثل ثورة كبيرة إدارة حروب وإدارتها من بعيد دون ان تتضرر بضرر ودون استخدام الجيوش[10].

وتعمل الولايات المتحدة الأمريكية على تغييب الثقافات الوطنية وإلغائها وإبعادها عن هيمنة الدولة وتبني سياسة لا تخضع لقيم ومعايير وطنية وإنما لمعايير البقاء في إطار المنافسة العالمية[11]. وتغيير مفاهيم المجتمعات وأنماط سلوكهم في اتجاه الأذواق والسلوك. وبعبارة أدق تغريب الثقافة في جميع دول العالم[12]. فهي تقضي على المشاعر الدينية والقومية التي تعد أساسا للعديد من المجتمعات الشرقية. وتهدف إلى خلق مجتمعات فاسدة ومتدنية بعيدة عن القيم والأخلاق والمبادئ الإنسانية. وإن الحملة التي تقودها الولايات المتحدة منذ أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ بحجة محاربة الإرهاب إنما هي موجه أساسا ضد المشاعر الدينية والقومية وضد الوطنية في العديد من الأحيان كما حصل بالنسبة للشعب الفلسطيني والشعب العراقي.

إن حضارة الولايات المتحدة الأمريكية مبنية على روح المنافسة والاستحواذ التي تطغى فيها الآلة وتحول المجتمع نموذج الإنتاج والتبادل تذوب فيه الخصوصية التاريخية والإنسانية[13]. ومن المؤكد إن مثل هذه الحضارة تتنافى والتقاليد التي تؤمن بها العديد من شعوب العالم.

ان ابرز ما يتعرض له العالم في الوقت الحاضر هو العولمة تحت شعار حرية التجارة العالمية، لتكريس نظام الجوع والبطالة والاحتراب الأهلي وتدمير البيئة وتهميش البشر وترسيخ العنصرية والتحيزات الموروثة وضيق الأفق الإثني والتعصب الطائفي[14].

إن العولمة وثن هش، لكنه محاط بهالة صلبة من هيبة الامبريالية الغربية المتجبرة، الأمر الذي يعقد عملية تفكيكه والنفاذ منه صوب الواقع. لكن صعوبة المهمة لا تلغي ضرورتها[15].

إن ظاهرة حرية التجارة العالمية كانت موجودة في المرحلة السابقة، لكنها لم تكن تحتل المركز الذي تحتله اليوم ولم تكن بارزة إلى هذا الحد. لذلك، فهناك مبرر حقيقي لاعتبار الفترة التي ابتدأت بمنتصف الثمانينيات طوراً جديداً بالمعنى الجدلي من أطوار الرأسمالية، طور العولمة. لكن دخول الرأسمالية في طور جديد لا يعني أنها تغلبت على

تناقضاتها وأزماتها الجوهرية، وإنما أفلحت فقط في تأجيل الانفجار بتوسيع مجال هذه التناقضات والأزمات وتعميقه. وهذا التأجيل، الذي تستفيد منه البرجوازية العالمية، يأتي على حساب الهوية القومية وحساب بيئتها ومجالها الحيوي. وبهذا المعنى، فإن حرية التجارة العالمية قد تكون منقذاً مؤقتا للشركات الكبرى، لكنها بالتأكيد وبال على الشعور القومي وتسعى إلى تفكيك الحواجز القومية والتنموية.

وتؤثر العولمة على الواقع القومي من خلال:

١. راجت في كثير من الأوساط مؤخراً مقولة أن الدولة القومية فقدت المبرر لوجودها في عصر حرية التجارة العالمية وأصبحت عبئاً على الاقتصاد الرأسمالي تسعى الرأسمالية إلى تفكيكه وإزالته، وكأن الرأسمالية أفلحت في تحقيق ما حلمت به الاشتراكية وما عجزت الأخيرة عن تحقيقه. لكن أصحاب تلك المقولة يتناسون أن الرأسمالية نشأت معولمة من رحم التجارة الدولية، وأنها مع ذلك عملت على نشوء الدولة القومية في المراكز الرأسمالية. وكان للدولة القومية دور أساسي في ترسيخ الرأسمالية وهيمنتها في المراكز وعلى الأطراف. وهم يتناسون أيضاً أن طور الإمبريالية، الذي ابتدأ عام ١٨٧٠ وشهد تقسيم الكرة الأرضية بين المراكز الرأسمالية الكبرى وتصديراً غير مسبوق في الرأسمال، شهد أيضاً توسعاً غير مسبوق في أجهزة الدولة القومية المركزية ونطاق فعلها ونفوذها.

٢. العولمة لا تدلّ أبداً على أن الدولة القومية فقدت مبرر وجودها. فالرأسمالية لا تستطيع البتة، وبحكم جوهرها وفي أطوارها كافة، القضاء على الدولة القومية. إن طور العولمة، يتخطى الهوية القومية ويعتبرها غير كافية لتلبية حاجاتها السياسية والاقتصادية، ومن ثم تعمد إلى خلق أطر سياسية جديدة معولمة، ومعنى ذلك أن الرأسمال المعولم يستلزم تغيير وظائف الدولة القومية المركزية ولا يكتفي بها، وإنما يعمد إلى خلق أطر سياسية واقتصادية معولمة تكملها. ومن الواضح إن عدم الاكتفاء بالشيء لا يعني الاستغناء عنه.

٣. إن مفهوم الوحدة القومية الثقافية هو مفهوم تنموي حديث . وقد حققت هذه الحركات نجاحات مهمة على هذا الصعيد، وكانت شراسة الهجمة الرأسمالية التي توجت بالعولمة حالت دون إكمال المسيرة وترسيخ الإنجازات التنموية. كما إنها أغرقت حركات التحرر القومي في بحر من التناقضات والثغرات الداخلية التي

فجرتها من الداخل وأدت إلى انحسارها وتراجعها. فتفكك الاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وتعرّض الوطن العربي إلى الحصار ومزيد من التفكك والاحتراب الداخلي. وهذا ما حصل أيضا في أفغانستان والدول الإفريقية. إن الرأسمال المعولم يسعى بالتأكيد إلى تدمير مكاسب الشعوب والطبقات المحكومة، وفي مقدمتها المراكز والتكتلات القومية التنموية في الأطراف[16].

٤. ان تأثير العولمة على العالم الغربي أكثر ما يكون في الولايات المتحدة الأمريكية حيث كانت الفلسفة الأمريكية تقوم على الذوبان الاجتماعي والثقافي والسياسي داخل دولة المهجر، إن حركة إذابة المهاجرين كانت واحدة من أكثر الاستراتيجيات الأمريكية المحلية فاعلية ولذلك فإن المهاجرين الأوائل كانوا يقضون فترة الرحلة عبر المحيط في الباخرة وتكون هذه الرحلة هي الحبل الأخير الذي يربطهم بحياتهم السابقة وقيمهم وتقاليدهم السابقة ويفتح المهاجر كل قلبه وعقله من أجل أمركته وتحوله إلى مواطن أمريكي على المستوى القيمي والمعرفي وليس على مستوى الوطني والقومي. ثم أصبحت المقاومة للمهاجرين أكبر حيث يحتفظ الرعيل الأول بقيمه الأصلية ما تلبث أن تنهار مع الجيل الثاني المولود داخل بلد المهجر[17].

٥. تشكل الولايات المتحدة في المرحلة الراهنة القاعدة الأهم والأكثر تأثيرا للمشروع الثقافي العولمي بوجهه الاحتكاري وقدراته التكنولوجية الهائلة وأدواته الإعلامية المتقدمة والتي تلعب الدور الحاسم في نشر وترويج وترسيخ الثقافة الاستهلاكية ذات الطابع التجاري بهدف تشويه وتهميش الهوية القومية وإعادة إنتاج البنية المتخلفة بكل ما تحويه من تسطيح للوعي وتشجيع للمبادرات الفردية القائمة على الأنانية والاستغلال وانعدام للممارسات العقلانية وبث الفوضى والبيروقراطية والرشوة والفساد[18].

وكان من أكثر عوامل تنفيذ القيم السياسية الغربية يرجع إلى عمق الفلسفة السياسية الغربية التي اجتاحت العالم عبر حركة الاستعمار ثم حركة التأثير التي تبعتها مع افتقار العديد من الدول والمجتمعات حول العالم لنظم سياسية وتركيبة سياسية يمكن أن تشكل تحديا للنظام السياسي الغربي من حيث التنظيم على مستوى الدولة أو من حيث إدارة دفة الدولة في محيطها الداخلي على مستوى

المشاركة السياسية والحركة السياسية بين قمة الهرم السياسي وقاعدته الشعبية والتأثير المتبادل بينهما[19].

ثالثا- تحدي العولمة للهوية العربية

التحدي هو ذلك الوضع، الذي يمثل وجوده، تهديدا، أو إضعافا، أو تشويها، كليا أوجزئيا، دائما كان أو مؤقتا، لوجود وضع آخر، يراد له الثبات والقوة والاستمرار. وإذا نظر إلى التحدي باعتباره تحديا قوميا ، فانه يمثل تهديدا أوخطرا أو إضعافا أوتشويها،لوضع أو لجماعة قومية معينة،فيصبح أن يطلق عليه لهذا السبب"التحدي القومي". أو الشعور القومي لجماعة ما، أو أمة ما، في فترة زمانية معينة، وموقع مكاني معين."فتحديات الهوية القومية" في هذا العنوان، تعني مجموعة الأوضاع والأنماط الفكرية والتطبيقية والسلوكية والحياتية، التي تهدد مثيلاتها في الأمة العربية[20].

الحقيقة ان هذا الخوف المفرط على الهوية والخصوصية قد يعبر عن ضعف في الثقة بالنفس، فالمسلمون لم يتقدموا ولم تدن لهم الدنيا، إلا عندما كانوا يؤمنون بأن الاختلاف والتنوع هما سنة الله في الكون، وان التقدم والنجاح مرهونان بالقدرة على التعامل مع الآخر المختلف والتفاعل معه بما يخدم المصلحة الذاتية[21].

وتتجسد تحديات العولمة للهوية العربية بالشكل الآتي:

١. ان العولمة تؤدي إلى تعميم الثقافة الامريكية على العالم. ويحاول بعض الكتاب الامريكيين الإيحاء إلى ان هناك عوامل سلبية في الثقافات الأخرى للدول الأخرى بوصفها ثقافة النخبة أو صفوة. وهي ثقافات مكبلة بالقيود وذات توجهات دينية وتستخدم لغة لا تفهمها غير فئة قليلة من الصفوة أو من رجال الدين ومن ثم فهي لا تلبي احتياجات الإنسان المعاصر. وتأتي الثقافة الامريكية بوصفها ثقافة لها القدرة والتأثير مثلما هو الحال في حرية التجارة العالمية الاقتصادية التي استطاعت تحطيم الحواجز الجغرافية بين المجتمعات الإنسانية. وبسبب تطور التقانة مما ساعد على انتشارها[22].

٢. تعتقد الولايات المتحدة الأمريكية إن أسباب المنازعات الدولية بين الدول والحروب الأهلية ترجع أساسا إلى أسباب دينية واقتصادية وثقافية وقومية وعرقية. فاختلاف الشعوب في هذه الأمور كانت ولا زالت وراء الكوارث التي حلت بالبشرية. فالتمسك بالدين كان وراء الحرب الهندية الباكستانية وبين اذربيجان وأرمينيا والبوسنة والهرسك ومشكلة كوسوفو والحرب الأهلية في لبنان والسودان والجزائر ومشكلة الاقباط في مصر.

والتمسك بالقومية كانت وراء الحرب بين العرب واليهود والحرب بين العراق وإيران والحرب الأهلية في تركيا والصومال وافغانستان ومشكلة التبت في الصين.

ونرى إن خير مثال على التعايش الإنساني بين التجمعات البشرية المختلفة هو المجتمع الأمريكي. ذلك إن المجتمع الأمريكي يتكون من عدة قوميات واديان وأعراق ومستويات اقتصادية مختلفة. وان الجميع يعيشون في إطار الدولة الواحدة. وإنه من الممكن تطبيق الثقافة الأمريكية على شعوب العالم للقضاء على التناقضات القائمة بين التجمعات البشرية والحكم بالإطار الوطني.

ومن هذا المنطق فان مسألة تعميم الثقافة الأمريكية على شعوب العالم يحد من الصراعات بين الشعوب أو التجمعات البشرية بفضل إلغاء الثقافات القائمة على عنصر الدين والقومية والعرقية والتناقضات الاقتصادية.

١. تعمل العولمة على صياغة ثقافات وقيم ومعتقدات عامة، وفق معايير أحادية صرفة. وان الثقافة الأمريكية تجاوزت الحدود في التعامل مع الثقافات والحضارات والعقائد والأفكار المغايرة، ودخلت مناطق محظورة وحساسة، لتجاهلها التركيب النفسي والوجداني والمعنوي للأفراد والجماعات والشعوب، وإسقاطها لعوامل التراكم الثقافي المبلور لشخصيات الشعوب والأمم، خلال مئات السنين. والنتائج المترتبة على مثل هذا التدخل تأتي دائما بنتائج عكسية، وتزيد من كراهية الشعوب للسياسة الأمريكية[٢٣].

٢. تدمج العولمة العامل الاقتصادي بالعوامل الأخرى السياسية والقومية والاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية وفي دول أوربا. في حين إنها تعمل بالنسبة للمجتمعات الأخرى وخاصة العربية منها إلى المزيد من التفكك والتشرذم بين هذه العوامل. فأثار العلاقات الاقتصادية التي تفرضها العولمة في المجتمع العربي بصورة خاصة ليست أحادية إنما هي متناقضة[٢٤].

٣. تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على تشكيل النخب السياسية في الوطن العربي بشكل يفسح المجال أمام توثيق إرتباط الاقتصاد والسياسة العربية بالولايات المتحدة الأمريكية. ولكي تتم إعادة تشكيل النخب لابد من نشر ثقافة سياسية بديلة تقوم على تمجيد قيم اقتصاد السوق والحرية السياسية والمجتمع المدني.

وقد أدركت الولايات المتحدة بعد التحولات في إيران ان النخب السياسية المغلقة تؤدي على المدى البعيد إلى احتقان سياسي ولا سيما مع اتساع قاعدة التعليم وتزايد التكنوقراطيين في المجتمع العربي المعاصر، وسعي النخب الجديدة إلى المشاركة في الحياة السياسية ولاسيما أن نسبة مهمة من عناصر النخبة الصاعدة هم من خريج الجامعات الغربية. وقد بلغ عدد الطلاب العرب في الجامعات الأمريكية خلال العام الدراسي ١٩٩٧/١٩٩٨ ما مجموعة (٣٠٩٦٢) طالبا. ولكي لا تحدث المفاجأة كما يجري في الوطن العربي أو افريقيا أو أمريكا اللاتينية، فلابد من تسريب نخب معينة ذات توجها معينة قريبة من القيم السياسية الأمريكية إلى الوطن العربي بشكل يحول دون الاحتقان من ناحية ويتبنى المشروع الأمريكي من ناحية ثانية. ومن خلال تعميم هذه الثقافة عبر مراكز الدراسات التي تمولها الولايات المتحدة يتحول المشروع من مستوى تبني النخبة الصاعدة إلى إيجاد قواعد ارتكاز اجتماعية داخل المجتمع تساند هذه النخبة في عملية الاقتراع. وتعمل الولايات المتحدة الأمريكية تنفيذ سياستها هذه عن طريق العديد من المؤسسات أنشئت لهذا الغرض[٢٥].

١. تنظر العولمة إلى الثقافة بكونها وسيلة لتطبيق مبادئها وأهدافها. فقد اصبح مزج بين الثقافة والتجارة. وجعلت من الثقافة سلعة تجارية يمكن تبادلها ويطلق عليها بالثقافة ما بعد المكتوبة، لأنها تنتقل من ثقافة شفوية إلى سمعية بصرية من دون المرور بالثقافة المكتوبة[٢٦]. ومن أجل غرس الثقافة الأمريكية في عقول الشباب العربي فقد فتحت الولايات المتحدة الأمريكية جامعاتها لاستقبال الطلبة العرب في الكليات المتصلة بالثقافات[٢٧]. وتعمل الجامعات الامريكية على القضاء على الهوية العربية من خلال البرامج المعادية للشعور القومي.

٢. الضغط الشديد الذي يمارس لتغيير المناهج الدراسية والدينية والاعلامية والثقافية، في الدول العربية والإسلامية، بدأ يخلق توترا شديدا. لأنه يقوم على إفراغ الهوية الوطنية والقومية من محتواها، وإذا كانت ثقافة عصر العولمة، هي ثقافة عالم المؤسسات والشبكات العالمية، والشركات المتعددة الجنسية، وهي ثقافة اصطدمت بسلطان المجتمع والدولة، فإن عصر ما بعد العولمة يختصر الثقافات والأفكار والعقائد في منبع ومصدر واحد، وإلغاء الهوية القومية ولأن ذلك مستحيل، فسوف يضيف إلي أسباب التوترات توترا جديدا، ذا طابع

معنوي وروحي وثقافي، مفروض بقوة الدولة الأعظم وإرهابها والخوف منها.

٣. تعمل الولايات المتحدة الأمريكية من خلال العولمة على دعم الاقليات في الوطن العربي. وشهدت هذه الاقليات تناميا نحو النزعة الانفصالية والتكتل الجغرافي للدولة القطرية أو إلى تفكيك المجتمع السياسي. ولهذا يلاحظ العلاقة المتنامية بين الحركة الكردية في شمال العراق والولايات المتحدة الأمريكية، وتنامي النشاط القبطي المصري في الولايات المتحدة الأمريكية، وتمويل نشاطات بعض المنظمات الجزائرية من قبل الصندوق القومي للديمقراطية، ودعم الانفصاليين في السودان والصومال[٢٨].

٤. اصبح الاقتصاد الحر هو المسيطر على النشاط الاقتصادي اما المصلحة العامة فأصبحت مسألة هامشية في اقتصاد السوق وهذه المسألة الهامشية تعتبر مسألة ضرورية, لأن المجتمعات العربية تربي أفرادها على الألفة والمحبة وعلى مبدأ التعاون. ولكن في ظل العولمة سوف تتحطم كل هذه العلاقات والأواصر, ويصبح الفرد ذاتيا انانيا لا يفكر الا في كم المكاسب التي سوف تعود عليه هو فقط ولا يعنيه باقي أفراد مجتمعه, وهذه تعتبر كارثة بالنسبة لباقي افراد الوطن[٢٩]. وإذا ما تفككت الإسر تفكك الشعور القومي.

٥. ان الثقافة التي تعتمدها العولمة في توجيه شعوب العالم نحو المنافسة التجارة وفتح الأسواق أمام بضائع الدول المتقدمة يعني بالمنظور البعيد إن الدول العربية لا تستطيع تنمية صناعتها الوطنية طالما إن المواطن العربي يفضل البضاعة الأجنبية لسهولة الحصول عليها وجودتها وتناسب ذوقه إضافة إلى رخصها والتسهيلات التي تمنح للحصول عليها. وهذا ما يؤثر على ذوق المواطن العربي وبالتالي يؤثر على الهوية القومية.

٦. يطرح انصار العولمة افكارا براقة تلاقي رواجا وقبولا عند الجميع . فهم عندما يطرحون حقوق الإنسان والديمقراطية والثقافة الحديثة والتخلص من التعصب الديني أو القومي أو العرقي فإن مثل هذه الأفكار تبدو لمن يسمعها مقبولة جدا. واصبح على الإنسان أن يقبل نوعية من السلع والخدمات والابتكارات وهذا يدل على أن هذه الحالة الخاصة أو النمط الجديد من العلاقات الإنسانية تفرض على الآخرين، ويتم تنميق وتزيين هذا

النمط الذي يسوق إلى العالم كله. وإذا اقتنعنا بذلك فإن صورة العلاقات الجديدة التي يقدمها الغرب ذات مظاهر براقة من أجل جذب أذواق المستهلك العربي[٣٠].

٧. إن العولمة لا تخص انتقال السلع وفتح الأسواق الدولية أمام البضائع فحسب بل إنها تشمل الخدمات وانتقال الأيدي العاملة. كما إن انتقال البضائع للأسواق العالمية يتطلب انتقال ممثلي الشركات العالمية للدول التي تتواجد فيها بضائعهم. وهذا يعني يوجب فتح الحدود لانتقال الأشخاص بحرية تامة. ومما يترتب على هذه الظاهر ما نطلق عليه بغزو التقاليد والعادات الغربية المادية بما تحمله من انحطاط أخلاقي ونقل ادرانها للمجتمع العربي والتأثير على عاداته وتقاليده الدينية والقومية.

٨. إن فتح الأسواق العالمية تتطلب الحاجة إلى عملاء محليين ووسطاء يعملون على الترويج لتجارتهم. ولا يعني ذلك تزويدهم بالقدرات الفنية والإطلاع على القدرات الفنية فتلك الأمور محجوبة عنهم. وإنما يقتصر دورهم على الترويج للسلع والخدمات[٣١]. ويؤدي هذا العامل إلى خلق مجموعة كبيرة من العملاء الذين يعتمدون في معيشتهم على الشركات الأجنبية مما يخلق فيهم حالة الاغتراب السياسي. فالمواطن العربي يعيش في وطنه ولكنه يعمل في عقلية الأجنبي في تعامله مع أبناء وطنه.

٩. كان من نتائج العولمة الأخذ بنظام التعليم التجاري. فقد انتشرت في العديد من الدول العربية المدارس الخاصة التجارية التي تسعى إلى الربح. وبسبب القيود التي تفرضها بعض الدول على الوافدين توسعت هذه الظاهرة وانتشرت المدارس التجارية التي تدرس المناهج غير التربوية والبعيدة عن الأصالة القومية. كما إن بعض المدارس تدرس باللغات الأجنبية مما خلق نوعا من التعددية الثقافية داخل المجتمع العربي. وقد امتدت هذه الظاهرة فشملت الجامعات الخاصة. وقد سمحت العديد من الدول العربية للمؤسسات الأجنبية الدخول في هذا الميدان وتدار بالأسلوب الربحي الرأسمالي السائد في الغرب. وبذلك دخل التعليم في الوطن العربي في مجال التجارة القائمة على الربح والإنتاج بالجملة[٣٢]. وهذا يعني ان خريجي هذه الجامعات والمعاهد يحملون أفكارا تتناقض مع الهوية العربية.

١٠. إن تخفيض الإنفاق على التعليم، أو ارتفاع تكلفته بالنسبة

للجمهور، أو تخلي الدولة عن مسؤولياتها في بعض الأنشطة التعليمية كما تروج له العولمة، في الغالب ما يؤدي إلى تهميش القطاعات الفقيرة من تحقيق احتياجاتها التعليمية، وإلى اتساع التفاوت بين الجنسين وبين سكان الحضر والريف[٣٣]. فمنظمة التجارة العالمية تفرض على الدول الأعضاء وقف الدعم لجميع القطاعات بما فيها قطاع التعليم والصحة وغيرها.

١١. تفرض العولمة تحكم السوق (حافز الربح) في تنظيم الجامعة وأدوارها، ومن ثم فقدت الجامعة استقلالها، بل وطابعها المميز كمؤسسة اجتماعية . وتسود معايير الكفاءة (مقومة ماليا وربحيا) محل المعرفة، وصعود الإداريين في مواجهة الأكاديميين، وتهميش المشاركة في اتخاذ القرار في مؤسسات التعليم العالي، واحتمال تدهور البحث الأساسي حيث لا يترتب عليه هامش ربح مباشر للصناعة كما في حالة البحث التطبيقي والتقاني. ويتزامن كل هذا مع صعود دور وحدات قطاع الأعمال، خاصة عابرات الجنسيات، في التعليم المتخصص والتدريب المكثف داخل المنشأة، وأحيانا خارجها[٣٤].

١٢. جلبت العولمة معها هبوط قيمة الدولة-الأمة في معترك تكوين رأس المال العالمي. ومن ثم فإن الهوية القومية تفقد قيمتها كأساس لشرعية الجامعة. وان الجامعة الجديدة، التي تتحول إلى شركة كبرى corporation، لا تمتلك دورا في الهوية القومية باعتبارها المشروع التاريخي للبشرية جمعاء منذ عصر التنوير، وإنما تتحول مرجعيتها الأساسية من الهوية القومية إلى السوق. ويتوارى المجتمع في خلفية العلاقة بين الجامعة-الشركة وبين وحدات قطاع الأعمال، خاصة عابرة الجنسيات التي تتعاظم هيمنتها على السوق العالمي باطراد. ويصبح طالب الجامعة في ضمن العولمة زبونا يتلقى العلم لقاء اجر يقدمه للشركة التي ينتسب إليها وهي الجامعة. ويصبح الأستاذ بائعا لعلمه في سوق العمل والذي تنطبق عليه معايير العولمة من الشفافية والغاء الدعم وتجنب حالة الإغراق. وبذلك يفقد المجتمع الغاية من إنشاء الجامعة.

١٣. أن دور الجامعة في الغرب ارتبط، قرابة قرن من الزمان، بسياق ثقافي متكامل (اجتماعي واقتصادي وسياسي) اكتمل بنشوء هناك، بمشاركة فاعلة من التعليم العالي وخلق هوية معينة تنسجم

وذوق المجتمع الغربي. بينما لم يكتمل مثل هذا البناء الثقافي بعد في الدول العربية، ولم يساهم التعليم العالي في بناء الهوية القومية. وعليه يعبر الدور الجديد للتعليم العالي في الغرب عن استجابة لتغير جوهري في التنظيم الاجتماعي، يتمثل أساسا في العولمة وسيادة أوسع للسوق كما تتبدى في الاقتصادات الرأسمالية الناضجة. وبالمقابل تهرول البلدان العربية نحو صورة متهرئة من هذا التنظيم الاجتماعي، يكون فيها النمط الجديد من التعليم العالي غريبا في سياق الأمركة المشوهة في البلدان العربية[35]. وعدم قدرة الجامعة في بناء هوية قومية خاصة في ضل الظروف الدولية الراهنة المتسارعة.

١٤. ظهور فكر إقليمي جديد، يبدو في بعضه أنه تنظير للتشطير والشرذمة والتجزئة، فهو يقفز فوق كل عوامل التقريب المتاحة للتكتل، وما يسمي بالفكر الاقليمي الجديد يعتمد على نظرة عملية ، تتجاهل الروابط الطبيعية في الوطن العربي، وهي روابط لا يمكن التعرف عليها بمعزل عما يجري في العالم من تحولات، وما يطرأ عليه من مستجدات، خاصة بعد الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) عام ٢٠٠١، وهو تاريخ أنهى عصر "التسوية"، وأدخل العالم عصرا آخر، وهو عصر العمل العسكري، احتل العمل العسكري مكانة شبه مطلقة في اعادة صياغة نظام الهيمنة الجديد، وتشكيل العالم علي أساسه، وفق مقتضيات الأمن وخطر الإرهاب التي برزت بعد الهجوم علي مركز التجارة العالمي في نيويورك، ومبني وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) في واشنطن. وسادت في العالم لغة التدمير والقتل[36]. وما صاحبها من تقسيم وتصنيف بين مسلمين خيرين ومسلمين إرهابيين والكل متخلف، وعرب معنا وعرب ضدنا والكل متخلف ايضاً. وعد الفلسطيني إرهابي والصهيوني مكافح شريف يدافع عن حق. واصبح الكلام عن القومية والدين والتراث والتاريخ والحضارة العربية الإسلامية عملا محظورا على المواطن والدولة معا. ومثل هذه الفرضيات والمسميات هزت الهوية القومية وتفريغها من محتواها بالترغيب أو الترهيب.

المبحث الثاني

وسائل الجامعات العربية للمحافظة على الهوية العربية

المحافظة على الهوية القومية مسألة تهم الجميع وهي مسؤولية تقع على عاتق المسؤولين والمربين والمثقفين والقوميين والوطنيين. ذلك

إن التحدي الذي تواجهه الهوية العربية يعد من اخطر التحديات التي يشهدها التاريخ العربي. وهذا ما يتطلب شحذ الجهود والعمل المثمر على مواجهة العولمة بأساليب حضارية متطورة تتناسب أو تفوق ما تحمله العولمة من وسائل واساليب. وينبغي العمل أولا وقبل كل شئ على الحصانة المبدئية الشخصية للمواطن العربي بشكل يؤمن عدم تأثره بالتيارات الفكرية والفلسفية التي تمس الهوية القومية. كما أن الضرورة تقتضي ترسيخ القيم العربية الإسلامية وإشاعتها وتسهيل وصولها لكل مواطن واستخدام الأساليب الحديثة والعصرية في هذا الصدد.

وإذا ما فشل جيلنا المعاصر (لاسامح الله) في عدم مواجهة التحديات التي تحملها العولمة ضد الهوية العربية فأن الأجيال المقبلة لن تكون قادرة على مواجهتها ويصبح الكلام عن الهوية العربية مسألة تاريخية. فعلى هذا الجيل تقع مسؤولية مواجهة تحديات العولمة. ونقترح مواجهة تحدي العولمة بأن تقوم الجامعات العربية بما يأتي:

١. لما كانت العلاقات الاقتصادية الجديدة التي جاءت بها العولمة تشكل تحديا كبيرا للهوية العربية فإن مواجهة هذه الحملة تبدأ بالذات بتركيز مقومات الثقافة العربية والارتقاء بها وبالانفتاح الثقافي. وهذا لا يعني أن نقف أمام وسائل نشر الثقافة الجديدة كالانترنيت وثورة المعلومات وشبكة الاتصالات ومن الثورة العلمية والتقنية، بل يجب ان نسعى للمشاركة ف هذه المجالات لا متخلفين فتحصر انفسنا في زاوية التخلف والتحجر[٣٧]. ونستفيد من هذه الوسائل لتحصين المجتمع وترسيخ القيم التي تحملها الهوية العربية.

٢. تثقيف الجيل المعاصر والأجيال المقبلة بأنه ليست هنالك ثقافة عالم واحدة بل ثقافات متعددة[٣٨]. فلكل مجتمع هويته الخاصة به. وإن المجتمع العربي يستمد هويته من التراث العربي الإسلامي والتي تصلح في الزمان والمكان. وهي ثقافة أصيلة قادرة على مواجهة كل الثقافات المستنبطة من الفكر المادي الربحي. وهذا لا يعني عدم الاستفادة من الثقافة الإنسانية العالمية. غير إن الأساس الذي يعتمد عليه هو الثقافة العربية الإسلامية.

٣. هناك من يرى في العولمة بأنها واقع ومفروض عليها ويتطلب الانغلاق الكامل تحت دعوى الحفاظ على الثقافة الوطنية محاولة إقفال الأبواب والنوافذ والعيش في عزلة عالمية على غرار النمط الذي تعيشه كوريا الشمالية، وهو نمط لا

نرتضيه وغير قابل للديمومة أو الاستمرار. والبديل الثاني هو أن نندفع نحو الانفتاح ونعمل على تقوية رصيدنا الذاتي الاقتصادي والقومي، ولا نخرج إلى الساحة بعود ضعيف مترنح ينهار في مواجهة التيارات الدولية ولا يستطيع أن يتعامل معها بالشكل الذي يحفظ لنا شخصية مستقلة، ولعل النمط الذي عاشته روسيا في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي يشكل أوضح نموذج على مثل هذا الانفتاح الذي لم يبن على ركائز ثقافية وعقدية واقتصادية متينة، وهو نمط لا نرتضيه حتى وإن كان قابلا للديمومة أو الاستمرار. والبديل الصائب هو أن نقبل الانفتاح ونواجه التحديات بالعمل في الوقت نفسه نقوم ببناء المؤسسات الوطنية والقومية والفكر الذاتي القادر على التعامل مع معطيات العصر والاستفادة من رياح العولمة والتأثير فيها، والأخذ من مكتسبات المنظمات الدولية والإسهام فيها، ونكون بذلك قد تجنبنا إضاعة الوقت في طرح اللوم على المخططات الأجنبية والتيارات الدولية دون أن نعمل على تصحيح أمورنا وتهيئة أوضاعنا لمتطلبات الحياة بواقعها ومستجداتها[٣٩].

٤. من الضروري أن تدير الدولة بعناية فائقة وبمزيد من الاهتمام الشؤون التعليمية وبالذات التعليم الأساسي ومحو الأمية، باعتبارهما حقوقا مشروعة لكل فرد، ذكراً أو أنثى. وعلى الدولة أيضاً أن توجه سياسة الاقتصاد الكلي صوب تحقيق الأهداف التعليمية المعلنة والمعتمدة من قبل دول المنطقة والتي لها صلة مباشرة مع أهداف سياساتها السكانية والتنموية[٤٠]. وينبغي عدم انصياع الدول العربية لمطالب العولمة بوقف دعمها للتعليم في جميع مراحله. فعلى الدول العربية ان تمسك مسألة التعليم بيدها وبأشرافها وان تضع المنهاج التعليمية من قبلها.

٥. جعلت العولمة كل شيء مفتوحا أمام الفرد يصل إليه بدون وجود أي موانع تذكر حتى مع وجود الردع والقهر والرقابة بل إن الردع القاهر قد يتحول في بعض الأحيان إلى كبت سلبي يتجه للانصهار والذوبان في الثقافة الغازية بعد ارتفاع المانع القاهر أو غيابه المؤقت، وإذا كان منهج الآباء قد قام على سياسة الكبت والمنع في مواجهة الانحراف فأن المنهج هذا اليوم قد اصبح بلا أثر. إن المنهج الثقافي الأكثر فاعلية في مواجهة تداعيات العولمة المفتوحة هو إيجاد أسس التحصن الذاتي المبني على التوعية القومية

المركزة حيث الاتجاه للاستفادة الواعية من تقنيات وتكنولوجيا حرية التجارة العالمية بصورة سليمة مع تغذية مستمرة وتلقيح معلوماتي قوي للوقاية من الانحراف مع إيجاد بدائل متكاملة وقوية في مواجهة أدوات حرية التجارة العالمية.

٦. يشكل الفضاء الإعلامي أحد أهم أدوات العولمة في انتشارها وسيطرتها الاقتصادية والثقافية ، بحيث تحولت هذه الأدوات إلى حتميات لا تفارقنا أبدا ولا يمكن مقاومتها بصورة ارتجالية أو خطابية . إن خير وسيلة للدفاع هو الهجوم لذلك اصبح من الضروري أن تستخدم مجتمعاتنا هذه الأدوات لنشر المعلومات السليمة والإيجابية التي تحافظ على هويتنا القومية ونشر الأخلاقيات الرفيعة والسامية، عبر تأسيس فضائيات هادفة ومتكاملة وإنترنت شامل وواسع يحتوي على كافة البدائل التي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية.[41]

٧. من أبرز ما يدخل ضمن دائرة الممكن أمام تحديات العولمة هو إمكان إصلاحنا ومحافظتنا على الأسرة، حيث تعتبر أصغر مكون جماعي للمجتمع وقدرتها بالمحافظة على الهوية القومية. وتعد الأسرة هي اللبنة الأساسية لبناء المجتمع، تؤثر في مساره وتحدد هويته بشكل كبير، ونحن في الوطن العربي لدينا بالإضافة إلى اهمية الأسرة ودورها معطيات هامة فأنها قادرة على مواجهة تحديات العولمة. ويمكن من خلال المحافظة على تماسك الأسرة واستقرارها وتقوية الترابط بيت أفرادها والترابط بين الأسر الأخرى عن طريق النسب والتزاوج والجيرة من جهة أخرى، نتيجة توجه الإسلام لمعتنقيه بالمحافظة على الزوجية والتوادد وصلة الرحم وحسن الجيرة وغيرها[42]. يكمن بذلك عن طريق تماسك الأسرة ان تحافظ على الهوية القومية للمواطن العربي. خاصة وان الاسر العربية لا تزال تحافظ على مقوماتها الخاصة.

٨. يجب مقارنة ثقافة العولمة بالثقافة العربية وبالهوية العربية الخاصة ونؤكد على ان الهوية العربية تتميز بالخصوصية والانتظام داخل أطر تاريخية معينة كما تتميز بالقدرة على ربط أهلها بسمات وجدانية وذهنية مشتركة تتمثل في القيم والذاكرة الجماعية والاحساس المشترك بهوية تاريخية ومصير واحد. ونؤكد ان ثقافة العولمة ليس لديها القدرة على ان تولد لدى الأفراد احساسا مشتركا بهوية تاريخية أو

مصير مشترك وينظر إليها على انها ثقافة لا تحمل ذاكرة جماعية كما انها تتسم بنزعة توسعية وانها منقطعة عن أي ماض فهي في أساسها ثقافة لا تاريخية[43].

٩. تعزيز التضامن العربي الإسلامي وإيجاد القاعدة المتينة للتعاون بين الدول العربية في كل الميادين. وان العمل على تقوية الوطن العربي اقتصاديا وعلميا وتقنيا وثقافيا وتربويا، هي الوسيلة الأجدى والأنفع والأكثر تأثيرا للتغلب على الآثار السلبية للعولمة التي تهدد الهوية القومية العربية وللاستفادة من آثارها الايجابية في الوقت نفسه من خلال التكيف المنضبط مع المناخ الثقافي والإعلامي الذي تشكله تيارات العولمة، والتعامل الواعي مع مستجداتها ومتغيراتها وتأثيراتها والتحكم في الاثار السلبية للعولمة، اذا بذلت جهودا مضاعفة للخروج من مرحلة التخلف إلى مرحلة التقدم في المجالات كلها. والتعامل يجب ان يقوم على أساس القوة الاقتصادية، والاستقرار السياسي والسلم الاجتماعي والتقدم في مجالات الحياة كلها، وترسيخ قواعد العمل العربي الإسلامي المشترك، على مستوياته المتعددة"[44].

١٠. ينبغي ان يعرف الجيل العربي الحالي ان سبب تزعم الولايات المتحدة الأمريكية للعولمة يعود إلى أنها أقوى دولة في العالم عسكريا واقتصاديا وانها تسيطر على مجلس الأمن الدولي وهي التي تدير عملية الصراع العربي الصهيوني ، وتملك اكبر عملة نقدية تعد المصدر الاحتياطي الأول في العالم وتمتلك اكبر الشركات العالمية، وتغزو منتجاتها جميع دول العالم فضلا ما نتجه من وسائل إعلام عالمية وتملك العيد من العلماء في الحقول المختلفة"[45]. وكانت بريطانيا تحتل هذا الموقع في العالم أو أكثر من ذلك بكثير كما كانت تمتلكه أسبانيا والدولة العثمانية. وعندما سقطت هذه الإمبراطوريات سقطت معها فرضياتها الأساسية. ومن ذلك ينبغي الإيمان بان سيادة دولة على العالم لا يعني إن كل ما في هذه الدولة اصبح يمثل الحقيقة المطلقة. وإن النجاح الذي يتحقق في المجالات المادية لا يعني أن ينساب على المجالات الأخرى ويشمل المجالات الروحية والدينية والقومية والثقافية. وحتى المجالات المادية التي حققت فيها الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن ان تكون مثالا يحتذى به. فقد قامت على أساس الهجرة

وقتل السكان الأصليين وسلب أموالهم واعتماد المنافسة الحرة وما تتضمنه من تدمير وقتل والعمل الإجرامي. كل هذه الممارسات غير الإنسانية ينبغي أن تكون أمثلة تصلح لكل مجتمع له مقوماته الخاصة.

١١. على الرغم من ان الأمة العربية تمتد على مساحة واسعة من الأرض في أسيا وأفريقيا ولكنها مع ذلك تمتلك النسيج الاجتماعي الموحد أو المتقارب، والبنية الثقافية الموحدة ، وتشكل زاداً قيّماً لمواجهة أخطار العولمة ، وهو ما يفتقده الآخرون ، وأوروبا خير مثال على هذا ، فهي مؤلفة من أمم مختلفة ، ولغات متعددة ، وشعوب متنافرة ، وتاريخ متشابك ، ومع ذلك فهي تسعى إلى ايجاد أوروبا واحدة. إن الاستفادة من رصيد الأمة العربية لولوج عصر العولمة يقتضي أن تسعى الشعوب والقيادات إلى ترجمة حقيقة الأمة الواحدة على أرض الواقع ، ويقتضي تحصين الثوابت التي قامت عليها هذه الأمة وأبرزهما : الإسلام والعروبة ، لذلك فإن قادة الفكر والباحثين والعلماء وذوي الرأي مدعوّون أن يدعموا هذين الثابتين ، ويزيدوهما رسوخاً مع الزمن ، ومن هنا فإن كل كاتب أو باحث أو ذا رأي يقصد الإسلام أو العروبة بسوء فقد نأى بنفسه عن هذه الأمة ، وابتعد عنها [٤٦].

١٢. توظيف استخدام البحث العلمي كوسيلة لترصين الهوية القومية في الجامعات العربية. ويمكن للبحث العلمي في تلبية الاحتياجات التي تتطلبها المسائل القومية والاستجابة للمتطلبات التي رافقت دخول التكنولوجيا المعاصرة في البنى الأساسية لتنظيم الحصانة الوطنية ضد الأفكار المتعارضة وقيم المجتمع في الوقت الذي ولدت تيارات جديدة. واصبح المجتمع المعاصر اكثر حساسية من قبل بفضل اعتماده على نظم المعلومات والاتصالات المتطورة ولقد ولدت التحديات التي رافقت قيام نظام دولي جديد يختلف في مضامينه. مما فرض على الباحثين في الجامعات في دول العالم مسؤولية جديدة في تحصين المجتمع في المجالات المختلفة[٤٧]. ومن هذا يتطلب دعوة الباحثين في الجامعات العربية للمساهمة في دراسة التحديات التي تهدد الهوية القومية ودراستها والبحث في الوسائل التي تضمن تحصين المواطن العربي.

١٣. تفعيل ميثاق الوحدة الثقافية العربية[٤٨]، الذي يهدف إلى تنشئة جيل عربي واع مستنير ، مؤمن

بالله مخلص للوطن يشق بنفسه وأمته ، ويدرك رسالته القومية والإنسانية ويتمسك بمبادئ الحق والخير، ويستهدف المثلى العليا الإنسانية في السلوك الفردي والجماعي. مسلحين بالعلم والخلق كي يسهموا في تطوير المجتمع العربي والسير به قدما في مجال التطور والرقي وفي تثبيت مكانة الأمة العربية المجيدة وتأمين حقها في الحرية والأمن والحياة الكريمة. وأوجب الميثاق ان تعمل الدول العربية على تعيين أهداف التربية في جميع مراحل الدراسة وأبرزها في مجال العمل والتنفيذ بما يحقق ما تعقده الأمة العربية في تربية شبابها من آمال[٤٩].

الخاتمة

ان اهم ما يواجه الامة العربية في الوقت الحاضر هو ما تواجهه هويتها القومية من تحدي كبير يتمثل في العولمة التي جاءت بصيغ واساليب عصرية متطورة لها القدرة والنفاذ الى كل زاوية من زوايا الامة. وان هذا التحدي يتناول الفكر العربي الاسلامي. وهو امر يتطلب من الدول العربية والجامعة العربية وكل شخص مثقف ومؤمن بعروبته ودينه ان يقف ضد هذا التحدي الخطير الذي يهدد الكيان العربي برمته.

ان التغاضي او التساهل عن هذا التحدي سوف ينهي والى الابد مقومات الشخصية العربية ويصعب بعد ذلك على الاجيال القادمة معالجتها لفوات الفرصة ولاستحكام المعتقدات التي تحملها العولمة. فطالما ان العولمة لم تستقر بعد فان من السهولة مقاومتها عن طريق التحصين وغرس القيم والاخلاق العربية وايقاظ الشعور القومي لدى الجيل الحاضر واعتماد الصيغ العلمية في مواجهة هذه التحديات. والعمل على ايصال الشعور للجميع والتعريف ان القومية العربية قومية انسانية غير متعصبة.

لقد تعرضت الامة العربية خلال تاريخها الطويل لمختلف التيارات الفكرية التي احتلت الوطن العربي رغم الاساليب الهمجية التي استخدمت لقلع الهوية العربية، فقد استطاع اجدادنا الثبات والتأثير وحمل القيم الانسانية. فكانت الامة العربية مؤثرة في هذه التيارات وغير متأثرة بها. ولهذا بقيت الهوية العربية قائمة ووصلت الينا وعلينا ان نوصلها الى الاجيال القادمة بايمان وشرف وان يشعر جيلنا ويتحسس بمسؤوليته القومية في تحقيق هذا الغرض قبل فوات الاوان فلا يزال في القوس منزع ولا يزال في النفس روح قادرة على المقاومة.

ن ما يدفعنا الى الحفاظ على الهوية العربية هو اننا اصحاب حضارة وشخصية قومية متميزة واصحاب دين سماوي. فالعلاقة بين العروبة والاسلام هي علاقة الروح بالجسد فاذا ما تمكنت التحديات

المعاصرة من فك هذه العلاقة فإن ذلك يعني فك الروح عن الجسد.

وتقع المسؤولية ايضاً على المربين من اساتذة الجامعات العربية في مقاومة التحديات التي تواجه الهوية العربية وفي مقدمتها العولمة وان يكون ذلك في تعاملهم مع العلم والمعرفة من خلال الرابطة الانسانية البعيدة عن ما تفرضه العولمة من التعامل المادي التي تحول الطالب الى زبون. فلابد من ان ينطلق التعامل من اسس انسانية وقومية والشعور بالمسؤولية باننا نعيش في عالم جديد يعمل على الغاء خصوصيتنا العربية بحجج واهية وغير منطقية.

ولا تقتصر مسؤولية اساتذة الجامعات العربية على الناحية التعليمية فحسب بل لابد من العمل والوصول للمجتمع والعمل في وسطه وتقوية اواصر الاسرة وغرس الروح العربية الانسانية الاصيلة.

---

[1] بطرس بطرس غالي الأمين العام للمنظمة الفرانكفونية الدولية الدورة الثلاثين روما ١٩٩٩/١١/٢٣ (محاضرة ماكوغال التذكارية الحادية والعشرين)

[2] محمد عبد العال النعيمي وأدي قاسم شندي ، العولمة ومستقبل الوطن العربي ، مجلة بيت الحكمة، العدد الخامس السنة الأولى تشرين الثاني – كانون الأول ١٩٩٨ بغداد ص ٧٣.

بالإنجليزية Globalization وبالفرنسية Mondialisation أما بالعربية فسميت "العولمة" أو "الكوننة" universalization "الكوكبية"، "الغربنة" westernization "الشوملة"، "السلعنة" "الكونانية" "الجلوبالية"....

الأب عماد طوال تحرير : المدرسة العربية ٣حزيران ٢٠٠٢ (الانترنيت)

[3] رسلان خضور وسمير إبراهيم ، مستقبل العولمة ، قضايا راهنة المركز العربي للدراسات الاستراتيجية ، العدد ٧ دمشق ١٩٩٨ ص ٨. والأب عماد طوال المدرسة العربية ١٦ حزيران ٢٠٠٢

[4] حسن حنفي ، الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، الفكر السياسي- اتحاد الكتاب العرب – دمشق العدد ٤و٥ دمشق ١٩٩٨-١٩٩٩ ص ٢٤٣.

[5] عبد الجليل كاظم الوالي، جدلية العولمة بين الاختيار و الرفض، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٧٥) السنة (٢٤) كانون ثاني- بيروت ٢٠٠٢ ص ٦٠.

[6] السيد أحمد مصطفى عمر، إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك ، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٥٦) السنة (٢٢) ، ٢٠٠٠ بيروت٦٩.

[7] عبد الله يحيى العلمي ، الاقتصاد والثقافة في الوطن العربي ، نظرة مستقبلية. السعودية الانترنيت (موقع منظمة التجارة العالمية).

[8] Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle (C.R.A.S.C. – Oran, Algérie)

[9] يراجع عن مفهوم الجات:الدكتور بشير العلاق، اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا ، مجلة شؤون سياسية العدد الأول ، السنة الأولى ١٩٩٤ مركز الجمهورية للدراسات الدولية ص ١٥١.

[10] الدكتور عبد الله بلقزيز وآخرون ، إشكالية العلاقة الثقافية مع الغرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ بيروت أيار ١٩٩٧ ص ٢٢٤. كذلك يراجع نبيل دجاني ، البعد الثقافي والاتصال في ضوء النظام

العالمي الجديد، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٢٤ بيروت ١٩٩٧ ٢ ٥٩.

[١١] علاء جبار أحمد سعيد، الدولة القطرية العربية بين العولمة والخيار القومي العربي ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ٢٠٠١ ص ٣٣.

[١٢] الدكتور جلال أمين ، العولمة والتنمية العربية من حملة نابليون إلى جولة الأورغواي، ١٧٩٨-١٩٩٨ مركز دراسات الوحدة لعربية ط١ بيروت أيلول ١٩٩٩ ص ١١٦.

[١٣] علاء جبار أحمد سعيد، مصدر سابق ، ص ٣٣.

[١٤] الدكتور هشام غصيب ، حرية التجارة العالمية والهوية القومية. بحث في الانترنيت موقع (العولمة)

[١٥] الدكتور هشام غصيب مصدر سابق (الأنترنيت)

[١٦] الدكتور هشام غصيب مصدر سابق (الأنترنيت)

[١٧] الدكتور صالح النمله ، عولمة التأثير، جريدة الرياض اكسبريس ، الرياض الأقتصادي ، منتدة الكتاب. ٢٠٠٢/٢/٢ الانترنيت موقع (العولمة)

[١٨] د. عواطف عبد الرحمن الثقافة الأميركية تجتاح العالم المعاصر بما فيه أوروبا شبكة عنيزة اليوم ٢٠٠١ - ٢٠٠٢. 2001 - 2002 CNN.co onaizah.net

[١٩] الدكتور صالح النمله ، عولمة التأثير، جريدة الرياض اكسبريس ، الرياض الأقتصادي ، منتدة الكتاب. ٢٠٠٢/٢/٢ الانترنيت موقع (العولمة)

[٢٠] حرية التجارة العالمية والثقافة بحث منشور على الانترنيت لم يذكر اسم الناشر . موقع (العولمة)

[٢١] طلال بن عبد العزيز ، مصدر سابق، الانترنيت الموقع (العولمة)

[٢٢] عبد المنعم السيد علي، مصدر سابق، ص٦٤.

[٢٣] محمد عبد الحكم دياب، تكتل ما بعد حرية التجارة العالمية بين النظرة العملية والنظرة التقليدية. الانترنيت الموقع (العولمة)

[٢٤] غسان سلامة، الثقافة ومرأة الغرب: الإشكالية ومعابر التغيير، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٧٩) مايس /٢٠٠٢ بيروت ص ٢٣.

[٢٥] ومن المؤسسات الحكومية التي تنفذ هذه السياسة: الصندوق القومي للديمقراطية تأسس عام ١٩٨٣ والذي يعمل معه عدد من الهيئات المتخصصة بالتعاون مع هذا الصندوق منها :

- Amercan Center for International Labor Solidarity.
- Amercan Federation for Teacher Educatioal Foundation.
- Amercan Foreign Policy Conuncil.
- Center for International Private Enterprise.
- Foundation for Defense of Human Rights.
- National Democratic Institute for Intrnational Affairs. Sisterhood is Global Institute.

ومن ابرز الهيئات العاملة في الوطن العربي المعهد الدولي الجمهوري والمجلس الوطني للعلاقات الأمريكية العربية:

International Republican Institute.

National Council on US-Arab Relations.

كما توجد العديد من المراكز لكل دولة بصورة خاصة.

وليد عبد الحي، علاقة السياسة الخارجية الأمريكية بالتحولات الديمقراطية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٦٧) مايس ٢٠٠١ بيروت ص ١٥.

[٢٦] جلال امين ، حرية التجارة العالمية والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث مجلة المستقبل العربي، السنة (٢١) آب ١٩٩٨ ص ٥٨.

[٢٧] قدم حوالي ٥٠٠٠ منحة على المستوى العالمي خلال الفترة من الموضوعات الثقافية منح منها (٨٢٧) للطلبة العرب في الموضوعات الآتية: (٣٢٩ الإدارة والاقتصاد و ١١٦ الأحزاب السياسية و ٧٤ التعليم و ٧٠ القانون و ٦٦ المرأة و ٤٨ حقوق الإنسان و ٤١ الانتخابات و ٢١ السياسة العامة و ١٧ حقوق العمل ١٦ تسوية المنازعات و ١٤ البرلمان والشباب ١٢ و ٢ ورشات عمل)

[٢٨] وليد عبد الحي ، مصدر سابق ، ص ٧٣.

[٢٩] الدكتور مصطفى رجب، مخاطر حرية التجارة العالمية على المجتمعات العربية ، البيان ٢٠٠٠/١٠/١٣ الانترنيت الموقع (العولمة)

[٣٠] عبد الجليل كاظم والي، مصدر سابق، ص ٧٤.

[٣١] خلدون حسن النقيب، مصدر سابق، ص ١١٦.

[٣٢] خلدون حسن النقيب، مصدر سابق، ص ١٢٠.

[٣٣] آفاق المستقبل في ظل حرية التجارة العالمية وبرامج التكيف الهيكلي. الانترنيت الموقع (العولمة).

[٣٤] الدكتور نادر فرجاني ، مساهمة التعليم العالمي في التنمية العربية ، مركز المشكاة للبحث مصر ١٩٩٨. الانترنيت موقع (العولمة).

[٣٥] الدكتور نادر فرجاني ، مساهمة التعليم العالمي في التنمية العربية ، مركز المشكاة للبحث مصر ١٩٩٨. الانترنيت موقع (العولمة).

[٣٦] محمد عبد الحكم دياب، تكتل ما بعد حرية التجارة العالمية بين النظرة العملية والنظرة التقليدية. الانترنيت الموقع (العولمة)

[٣٧] الدكتور عبد العزيز الدوري، الوحدة هدف اتسع نطاق تأييده ليشمل فئات من كل التيارات، حوار أجراه علي المحافظة، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٧٩) مايس ٢٠٠٢ بيروت ص ١٠.

[٣٨] محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، العدد (٢٢٨) السنة العشرين شباط ١٩٩٨ بيروت ص ٤١.

[٣٩] عبد الله يحيى المعلمي مصدر سابق(الانترنيت)

[٤٠] آفاق المستقبل في ظل حرية التجارة العالمية وبرامج التكيف الهيكلي. الانترنيت الموقع (العولمة).

[٤١] مرتضى معاش، مخاطر العولمة، الانترنيت موقع العولمة.

[٤٢] أنور عزالدين، حرية التجارة العالمية جدلية المقاومة وبرامج المهام، مركز باحث للدراسات مجلة الوحدة كانون الثاني ٢٠٠٢ الانترنيت الموقع (العولمة)

[٤٣] د. عواطف عبد الرحمن، الثقافة الأميركية تجتاح العالم المعاصر بما فيه أوروبا

شبكة عنيزة اليوم ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢. 2001 - 2002 CNN.co onaizah.net

[٤٤] الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – المغرب ، رابطة العالم الإسلامي. المؤتمر الإسلامي العام الرابع في الثامن من نيسان /ابرل ٢٠٠٢

[٤٥] عبد المنعم السيد علي ، مصدر سابق، ص ٧٧.

[46] العولمة الحقيقة والابعاد، ورقة مقدمة إلى مؤتمر كلية الشريعة في جامعة الكويت المنعقد ٢٠٠٠ حول العولمة.

[47] Nicolas Spyrellis, National Defense and Scientific Research,Pacis Defense Analyses, Institute Review, Athens, Greece, 1999,p.78.

[48] وافق على الميثاق مؤتمر وزراء التربية والتعليم ببغداد في ٢٩ فبراير/شباط ١٩٦٤. ووافق مجلس جامعة الدول العربية على الميثاق والمنظمة بتاريخ ١٩٦٤/٦/٢٨.

[49] المادة الاولى من ميثاق الوحدة الثقافية العربية.

ومن القرارات التي اتخذها مؤتمر الثقافة العربية الثاني الذي انعقد في الاسكندرية في عام ١٩٥٠ما يأتي:

١- وضع كتاب عن خصائص الثقافة العربية ومقوماتها والمشكلات التي تواجهها في العصر الحاضر.

٢- وضع كتاب في وصف خصائص الثقافة الغربية للمقابلة والموازنة.

٣- جمع الوثائق والاحصاءات عن حال الثقافة الحاضرة في البلدان العربية والاتجاهات السائدة فيه في التربية والسلوك في الحياة.

٤- دعوة الهيئات المختصة وكبار رجال الثقافة والفكر في الجامعات وغيرها لدراسة المشكلات التي سيتناولها المؤتمر المقبل.

٥- طبع التعليم العام في مختلف البلاد العربية بالطابع القومي القائم على خصائص الثقافة العربية وخير ما في الثقافات الغربية على ان يعنى في ذلك عناية خاصة بتيسير تثقيف المرأة العربية.

يراجع أبو خلدون ساطع الحصري، ثقافتنا في جامعة الدول العربية، مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة التراث القومي، الاعمال القومية لساطع الحصري، بيروت١٩٨٥ ص٧٩.